المقدمة

خطى الكائن البشري منذ آلاف السنين وعلى مر العصور خطوات حثيثة ومتسارعة أثناء مسيرته هادفاً للوصول بمجتمعه إلى التنمية والتحديث، وكانت أولى خطواته لتحقيق هذه الغاية تركُ أول نظام حياتي عرفه وهو أسلوب حياة الصيد والجمع Hunting and Gathering Technique إلى نظام آخر عرف بأسلوب حياة الرعي Nomadic Life Style؛ حيث روض بعضاً من الحيوانات وكيَّفَها وفقاً لاحتياجاته ومصلحته سواء لسد حاجاته الأساسية Basic Needs من مأكل وملبس ومسكن، أو لمساعدته على التنقل وقطع المسافات بحثاً عن مناطق أكثر دفئاً وأمناً له من ناحية، ووصولاً إلى منابت الكلأ والعشب التي تقتات عليها ماشيته من ناحية أخرى.

وتمضي السنون وتنهك هذه المرحلة نشاطَ الإنسان ويعمل جاهداً لتبني أسلوبٍ أكثر استقراراً وراحة وعطاء، الأمر الذي أدى به إلى ترك حياة الترحال والركون إلى استصلاح الأرض وزراعتها Rural Life Style، ولذلك فقد استقر به الأمر في الواحات ومناطق توافر المياه ومصاب الأنهار وطور أول أسلوب لحياة مجتمع حضاري ومستقر، حيث بدأت الحضارات تزدهر في تلك المناطق، فقامت حضارة ما بين النهرين والحضارة المصرية، وحضارة الصين، والحضارة الهندية، وأخرى عديدة حيث يتوافر العامل الرئيس لقيام حياة الاستقرار وهو الماء، وتبعاً لذلك فقد ألف الإنسان حياة التمدن، وتكونت لديه معرفة بتشابك العلاقات وتبادل المنافع والمصالح، وتعدد المناشط الاقتصادية في تلك المدن التي شيدت على ضفاف الأنهار وبالقرب من المواقع البحرية المتميزة.

ولم يكن الحال في بعض المناطق الأوروبية خصوصاً في إنجلترة مختلفاً حيث شَكَّل ملاك الأراضي الزراعية والإقطاعيون الطبقة المهيمنة على النشاط

الاقتصادي تساندها بذلك الكنيسة وحكام الكانتونات، وقد كانت الحياة قبل الثورة الصناعية في أوروبة ذات طابع ريفي زراعي حيث كان أقلّ من 10% من سكان القارة يعيشون في المدن، والباقون يعيشون في بلدات وقرى صغيرة منتشرة على امتداد الريف وكان هؤلاء الناس يقضون معظم يومهم العملي في الزراعة.

ولما كان باستطاعتهم بيع الفائض من الطعام إلى البلدان المجاورة فإنهم كانوا يزرعون ما يزيد قليلاً عما يحتاجونه لأنفسهم، ويصنعون معظم ملابسهم وفرشهم وأدواتهم من المواد الخام المنتجة من المزارع والغابات.

وقد وُجِدَ نوعٌ من الصناعة البسيطة في أنحاء أوروبة الغربية كلها قبل الثورة الصناعية، وقليلٌ من التصنيع كان يتم في متاجر رؤساء الطوائف Guilds في المدن الصغيرة، وكان العمال الحرفيون في هذه المتاجر يستخدمون أدوات متواضعة لتصنيع بعض المنتجات مثل: الملابس والأدوات المنزلية والحلي والمنتجات الجلدية والمشغولات الفضية والأسلحة، وكانت بعض المنتجات المصنوعة في المدن الصغيرة تتم مقايضتها بالطعام المنتج في الريف، وكذلك كانت منتجات المدن تصدر لمبادلة ثمن الكماليات المستوردة من الخارج، أو ترسل إلى المستعمرات في مقابل المواد الخام.

وكان معظم التصنيع يحدث في المنازل في المناطق الريفية وبإشراف عمداء الطوائف الحرفية الذين كان يطلق عليهم أحياناً المقاولين، الذين يقومون بتوزيع المواد الخام على الصناع في منازلهم، ويقومون بجمع المنتجات التي يتم تصنيعها، وكانت الأسرة في المنزل تعمل بكامل أفرادها لتصنيع الملابس ومنتجات الطعام والنسيج والمصنوعات الخشبية، ويمثل العمال المصدر الوحيد للطاقة المستخدمة في التصنيع وكانت الدواليب المائية مصدراً إضافياً لإنتاج الصناعات الأخرى.

وتختلف حياة الأفراد في هذه المناطق تبعاً للظروف البيئية والتربة والمناخ وبعدها عن المدن والطرق التجارية أو قربها منها، إلا أن حياة معظم الناس كانت مرتبطة بالمواسم الزراعية وما تشكله من شعور بالخوف الدائم من احتمال فساد

المحاصيل مما يعرّض ملاك الأراضي الزراعية إلى الإفلاس وفقدان العمال لمصدر رزقهم، سواءً أولئك الذين يعملون في الزراعة أم غيرهم ممن يقومون بتصنيع المنتجات الزراعية في منازلهم، مما كان له الأثر في انخفاض دخل الأفراد من سنة إلى أخرى انخفاضاً حاداً، الأمر الذي كان يتسبب كثيراً في سوء التغذية، وانتشار الأمراض والأوبئة بين صفوف الأفراد في تلك المجتمعات.

ولعل ما قام به جون كي سنة 1733م من اختراع لآلة تحريك النول، وما تقدم به القس آدم وند كارترايت من اختراع للنول الذي يعمل بالطاقة البخارية، وما قام به جون هر وكس من صناعة نول من المعدن بالكامل، وما أضافه الصناعيون الآخرون من تحسينات على النول البخاري في بدايات القرن التاسع عشر، ناهيك عن اختراع جيمس وات J. Watt للآلة البخارية التي عدّت من أهم الخطوات التي مهدت لقيام الثورة الصناعية بما وفرته من مصدر جديد للطاقة وبسعر زهيد، وباختراع جون وليكنسون لآلة ثقب الحديد سنة 1775م وما قام المخترعون الآخرون من تطوير لمقشطة لجعل أسطح الأجزاء المعدنية ملساء، وبحلول 1830م كانت كل الآليات الأساسية المطلوبة للصناعة الحديثة قد دخلت في الاستخدام، مما نتج عنه نمط جديد من النشاط الاقتصادي المبني على الاستثمار الصناعي، الذي بدوره كان الأساس لقيام المصانع المختلفة التي استقطبت العديد من العمال ممن تركوا الأعمال الزراعية، وتوجهوا للعمل في المدن حيث توجد فرص العمل في المصانع، وما نتج عن هذا النشاط الجديد من هجرة غير منظمة من الأرياف إلى المدن، وتكدس العمال في بعض الأماكن الضيقة والأزقة مما تسبب في كثيرٍ من المشكلات كانتشار الجريمة، والأوبئة، ناهيك عن تدني أجور العمال من الرجال والنساء، والتغيب عن العمل ورداءة الجودة في الإنتاج، بالإضافة إلى بروز ظاهرة تشغيل الأطفال والنساء بأجور زهيدة ولساعات طويلة، وعلى الرغم من أن هذه المشكلات تبدو أكثر وضوحاً في المجتمع البريطاني، إلا أنها موجودة بطريقة أو بأخرى في المجتمعات الأوروبية الأخرى جميعها مثل فرنسة، وألمانية، وغيرها ممن دخلت إلى الساحة الصناعية

وقد أدى ذلك إلى تطور علم الاجتماع العام لدراسة هذه الظواهر والعلاقات الاجتماعية التي ظهرت نتيجة لهذا النمط الجديد من الحياة، ولم يتوقف علماء الاجتماع عند هذا المنهج لدراسة المجتمعات؛ بل وجدوا أهمية بالغة لوجود فرع متخصص من فروع علم الاجتماع العام وهو علم الاجتماع الصناعي، الذي يركز على دراسة مشكلات الصناعة بأسلوب علمي ومنهج تطبيقي دقيق، فقد رأى عدد من العلماء ضرورة أن يكون علم الاجتماع الصناعي علماً مستقلاً بذاته. وقد تبنى هذا الاتجاه عدد من العلماء الأمريكيين وغيرهم أمثال: ألتون مايو George Elton Mayo من جامعة هارفرد وماكس ويبر Max Weber وأنتيزيوني Entzioni واديلايد Adelaide ومور Moore وجاردنر Gardnar وبولوتز Blotz وهورشكوفيتش Horskovits Melville وهورليتز Hoselitz وميلر Meller وفورم Formm وغيرهم كثير ممن سنتطرق إلى إسهاماتهم في تطور هذا العلم في هذا الكتاب؛ الذي نرى له أهمية في إغناء المكتبة العربية من ناحية وإفادة طلاب الجامعات من ناحية أخرى، بالإضافة إلى ما سنتطرق له من نماذج للتنمية الصناعية بصفة عامة وللتنمية الصناعية في المملكة العربية السعودية بصفة خاصة، حيث يُعَدُّ النموذج الذي تبنته المملكة نموذجاً متميزاً في توجهاته إذا ما قورن بالنماذج الأخرى المطبقة في البلدان النامية، وعليه فإن هذا الكتاب الذي نأمل أن نوفق في عرضه للقارئ بأسلوب ميسر سيشتمل على عشرة فصول، نتناول في **الفصل الأول** نشأة علم الاجتماع الصناعي والتعريف به وتطوره ونتحدث في **الفصل الثاني** عن مجالات علم الاجتماع الصناعي وأهدافه وعلاقته بالعلوم الاجتماعية الأخرى، وفي **الفصل الثالث** يتم التركيز فيه على تطور نظم الإنتاج، وفي **الفصل الرابع** نتناول مشكلات العمل الصناعي، وفي **الفصل الخامس** التنظيم الاجتماعي للمصنع الحديث، **والفصل السادس** لنظرية العلاقات الإنسانية ودراسة الجماعة **والفصل السابع** نركز فيه على التقدم التكنولوجي والتغير الاجتماعي، **والفصل الثامن** يتضمن التقنية والتصنيع والمجتمع، **والتاسع** نخصصه لمسيرة التنمية الصناعية في المملكة العربية السعودية **والفصل العاشر** نتناول فيه الآثار الناجمة عن التصنيع.

ونظراً لكون هذا الكتاب ذا توجه أكاديمي فسيكون مدعماً بقرص مدمج يسهل على الطالب التعامل مع ما يحتويه من تمارين ومقترحات، إضافةً إلى تضمينه عدداً من الصور الفوتوغرافية لبعض المصانع داخل المملكة وخارجها.

وفي الختام فإن المؤلف يتقدم بالشكر والعرفان لجامعة الملك فهد للبترول والمعادن لدعمها غير المحدود لخروج هذا المؤلف إلى حيز الواقع.